الوضع اللغوي في الجزائر بين تنوع الاستعمال وطرح الإشكال

the position of language in Algeriabetweenvasiety of use and posingproblem

معتوق محمد لمين[1]

جامعة مولود معمري تيزي وزو، **الإيميل**: tahamohamedlamin2011@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2020/06/07 تاريخ النشر: 2020/07/05

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على الوضع اللّغوي في الجزائر، بوصفه واحدا من مظاهر الأمن الثّقافي والتّماسك المجتمعي، لتحقيق الأمن اللّغوي الّذي هو أساس للبعد الهويّاتي، آثرنا في البداية إلقاء نظرة على الواقع اللّغوي الاستعمالي في الجزائر فوقفنا على الواقع الهجين الذي يميّز البيئة اللّغوية دون مراعاة التّراتبية اللّغوية، ثمّ تناولنا بالبحث أهمّ الإشكالات اللّغوية الّتي يفرزها الواقع اللّغوي الاستعمالي التّواصلي للّغة على كلّالمستويات، وفي مختلف مجالات الحياة من خلال الإجابة على الإشكال المطروح:-ما اهمّ الإشكالات الّتي يطرحها الواقع اللّغوي في الجزائر؟-ما علاقة اللّغة العربية الفصحى باللّغات واللّهجات ؟ -ما الظّواهر اللّسانية النّاتجة عن الممارسة اللّغوية داخل المجتمع الجزائري؟، وقد اعتمدنا لمعالجة هذا الإشكال المنهج الوصفي الموافق لطبيعة الدّراسة

الكلمات المفتاحية: الجماعات اللّغوية – الأمن اللّغوي –المازيغية –التّعاقب اللّغوي –التّعدّد اللّغوي –التّهيئة اللّغوية

Abstract:Summary in English

This researchaims to shed light on the linguistic situation in Algeria, as one of the manifestations of cultural security and societalcohesion, to achievelinguisticsecuritywhichis the basis of the identity dimension. Takingintoaccount the linguistichierarchy, thenwediscussed the most important linguisticproblemsthat the linguistic and communicative reality arises from the languageat all levels, and in various areas of life by answering the problempresented: - What are the most important problemspresented by the linguistic reality in Algeria? Whatis the relationship of classicalArabicwithlanguages and dialects? - What are the linguisticphenomenaresultingfromlinguistic practice within Algerian society ?, And we have adopted to addressthisproblem the descriptive approachcorresponding to the nature of the study

Key words:linguistic groups - linguisticsecurity - Berber - linguistic succession - multilingualism - linguisticpreparation

[1]– **المؤلف المرسل**: معتوق محمد لمين، **الإيميل**: tahamohamedlamin2011@gmail.com

1-مقدمة:

يعرف الواقع اللّغوي في الجزائر تعدّدا في الاستعمال اللّغوي ، يظهر هذا في الممارسات اليومية لدى الجزائريين ، وفي كلّ مجالات الحياة على اختلاف مستوياتها في التّعليم والإدارة وفي التّواصل الشّفوي ، ويتوزّع هذا الاستعمال على اللّغة العربيّة الفصيحة والدّارجة (اللّهجات)، والمازيغية – المازيغيات – واللّغة الفرنسيّة، يحدث هذا الاستعمال بشكل فوضوي دونما مراعاة التّراتبية اللّغوية الحقيقية ، قد يفسّر هذا المشهد على أنّه مؤشّر صحّي للانسجام المجتمعي والتّنوع الثّقافي واللّغوي للجماعات اللّغوية المشكّلة للمجتمع الجزائري في الوقت الحاضرلكن حقيقة الأمر هي مساس بالهويّة الوطنية انطلاقا من المساس بالأمن اللّغوي والثّقافي من خلال ما يفرزه هذا المشهد من إشكالات لغويّة تنتج عن التّداخل اللّغوي، الازدواجية والثّنائية اللّغويةالتّعاقب اللّغوي

وستبحث هذه المقالة في النّقاط التّالية:

1 -ماأهمّ الإشكالات الّتي يطرحها الواقع اللّغوي في الجزائر؟

2 -ماعلاقة اللّغة العربية الفصحى باللّغات واللّهجات؟

3 -ما الظّواهر اللّسانية النّاتجة عن الممارسة اللّغوية؟

2-الوضع اللّغوي في الجزائر بين تنوع الاستعمال وطرح الإشكال:

2-1-الإشكالات الّتي يطرحها الواقع اللغوي في الجزائر

تعدّ اللّغة العربية هي اللّغة الرّسمية في الجزائر منذ دستور 1963 بالإضافة إلى المازيغية بلهجاتها المختلفة والّتي اعتبرت لغة وطنيّة منذ التّعديل الدّستوري في 7 ماي **2002**، **لكنّ الواقع اللّغوي الاستعمالي الجزائري يطرح إشكالات كثيرة وذلك بالنّظر إلى** الواقع الهجين الّذي يميّز البيئة اللّغوية ، حيث تقسّم أدوار الاستعمال بين اللّغة العربيّة الفصيحة ولهجاتها واللّغة المازيغية بلهجاتها المختلفة ، إضافة إلى الفرنسيّة الّتي تستخدم على نطاق واسع في الدّولة الجزائرية ، في الإدارة والتّعليم الجامعي والإعلام والصّحة والثّقافة ... ؛ فهي تعتبر لغة شبه رسمية في الجزائر ومَرَدُّ ذلك إلى خلفية الاستعمار الفرنسي . ومن الإشكالات الّتي طرحها الواقع اللّغوي في الجزائر.

2-2-اللّغة العربيّة ليست لغة علم وحضارة:

إنّ الجهل بمكانة اللّغة العربية في بناء حضارة إنسانية امتدّت لقرون عدّة في التّاريخ الوسيط ، من قبل بعض أهلها جعلهم ينظرون لها بعين الاحتقار بحجّة أنّها غير قادرة على مواكبة التّطور العلمي والتّكنولوجي وعملوا على إحلال اللّغة الأجنبية –الفرنسية - محلّها وجعل اللّغة الرّسمية في مرتبة ثانية وربّما حتّى ثالثة وقد يجهل أصحاب هذا الاتّجاه ، مخاطر هذا الاستعمال للأجنبيات ، إذ لا يمكن أن تُنْتَجَ المعرفة والعلوم إلاّ باللّغة الأمّ:« إنّه لا حياة للّغة ولا تطوّر ولا انطلاق في الفكر والإبداع ما لم يكن بينهما توافق تامّ ووحدة كاملة تجعل من أداة التّعبير آلة طيّعة ومرآة صادقة لكلّ دقيقة من دقائق التّفكير»[1]، إذا كانت اللّغة الأجنبية عائقا للإبداعوالفكر، وعامل نَخْرٍ لوحدة المجتمع ، فهي كذلك وسيلة المستعمر وفلسفته الجديدة في الهيمنة والاستيلاء من خلال الاستلاب اللّغوي الّذي يقود إلى استلاب فكري؛ لأنّ هذا يدخل في إطار:« أنّ الهيمنة اللّسانية هي البوابة العظمى للسّيطرة على باقي مقدّرات الشّعوب »[2]، وهذا ليس إلاّترجمة لتوصيّة المستعمر الفرنسي–نابليون- الّذي قال لبعثته الوافدة إلى مصـر:« علّموا الفرنسيّة ففي ذلك خدمة حقيقة للوطن»[3]

لقد استطاعت العربيّة أن تستوعب ثقافات الشّعوب في الزّمان الأوّل في عِزِّ الحضارة الإسلاميّة عن طريق التّرجمة في بداية الأمر والّتي يعود الفضل فيها للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت 86 هـ) الّذي أصدر قرارًا يقضي بتعريب الدّيوان ، فكان خطوة لتأسيس نواة مركز علم موسوعيّ ، تجسّدت في شكل نهائيّ في عهد الخليفة العباسيّ المأمون (ت 218هـ) فيما يعرف ببيت الحكمة ونتيجة التّفاعل الحضاريّ الإيجابي، أنتج المسلمون معرفة باللّغة العربيّة في جميع المجالات الأدبية والعلميّة والفنيّة ولم يكن العلماء المسلمون عربا فقط ، بل كانت أصولهم مختلفة من فرس وترك وهنود غير أنّهم كانوا عربا لغة وثقافة في إنتاج المعارف والعلوم ألا تضعنا هذه الحقائق التّاريخية في الاتّجاه الصّحيح ؟ ألا يمكن أن نعتبر منها؟ ألا يمكن أن نفي لغتنا العربيّة حقّها الّتي يشهد لها التّاريخ ويشهد لها البعيد قبل القريب بأنّها لغة علم وحضارة، يقول المستشرق غوستاف لوبون:«العربيّة في الحقيقة من أصلح اللّغات لتأدية الأغراض العلميّة فهي غنيّة بالأصول والمشتقّات النّاتجة عن هذه الأصول ، والمشتقّات كثيرة وهي تتّفق مع الأصل في اتّصالها به من حيث المعنى وإن تحوّر معناها قليلا بحسب اشتقاقها أو صياغتها»[4].

أما يعلم هؤلاء المتنكّرون للعربيّة أنّه: «لم يسجل التّاريخ أنّ أمّة ارتقت باللّغة الأجنبيّة»[5]ألا يعلم هؤلاء أنّ الفرنسيين يقولون:« من دخل بيتنا فعليه أن يتكلّم لغتنا الفرنسيّة فقط ، ومن كان في أرضنا فعليه أن يكون معنا بلغتنا الفرنسيّة ولا نريد لغته الأجنبيّة »[6].

إنّ عدم إدراك أهميّة اللّغة ودورها في البناء الحضاري وإنتاج المعرفة ، يقود إلى حالة التّخلف والتّبعية ، وضياع الحاضر والمستقبل ، وهذا الأمر لا يرتبط باللّغة في حدّ ذاتها باعتبارها الوعاء الذي يحمل الفكر، إنّما يرتبط بالعقول الّتي لم تدرك حقيقتها ولم تحسن استخدامها في مجالات الحياة، وصناعة الحضارة الّتي تستمدّ منها قوّتها واحترامها ؛ لأنّه كلّما اتّسعت حضارة أمّة نهضت لغتها وَسَمَتْ أساليبها وتعدّدت فنونها وفي حديثنا عن اللّغة الأم وحتمية توظيفها في طلب التّقدم والازدهار، لا يدعو ذلك إلى معادات التّعلم والانفتاح على اللّغات الأجنبية، ولا يُنْكَرُ أنّ لها أهميّة كبيرة في نقل المعارف والخبرات ومظاهر الثّقافات المتنوعة، بل المقصود أنْ لا تُوظّف اللّغات الأجنبيّة على حساب اللّغة العربية ،وأن تستخدم بما أمكن كجسور لتطوير اللّغة العربية والنّهوض بها على الصّعيدين الإقليمي والعالمي في إطار البحث العلمي والتّبادل الثّقافي ؛ لكون اللّغة وعاء لاختزان الفكروالتّراكمات الثّقافية والتّحولات الاجتماعية والتّاريخية: « لا سيّما أنّ لكلّ ثقافة في زمان ما ومكان ما لغتها إذْ تتبادل اللّغة والثقافة أدوارهما، فقد كانت اللّغة في البدء مصدرًا للثّقافة وحدث بعد ذلك أن أصبحت الثّقافة أساسا لإعادة خلق اللّغة»[7] ففي ظلّ التّحول التّاريخي والاجتماعي والتّراكم الثقافي، تكتسب اللّغة أبعادًا تمتد عبر الزّمان والمكان .

2-3-ترسيم اللّغة المازيغية وتعميم تعليمها :

إنّ الجزائر ليست البلد الوحيد في العالم الّذي يعرف تنوّعا عرقيّا ، وتعدّدًا لغويا فهي البلد الّذي يتربّع على مساحة إجمالية تقدّر بحوالي 2,381,741 كلم^2 تتقاسمها ثمانٌ وأربعون ولاية، يتوزّع عليها أكثر من أربعين مليون نسمة ، يعرف أغلب سكانها اللّغة العربيّة، بغير المستوى المعياري الّذي يظهر في لغة الخطابات الرّسمية الفصيحة في أوضاع معيّنة، يظهر طغيان استعمال اللّغة الفرنسيّة وهي ليست لغة تراب في الجزائر ؛ أيْ ليست لغة تاريخ ولا هويّة، على ألسنة معظم سكّان الولايات الشّمالية الوسطى منها الغربية والشّرقية، في التّواصل اليومي وفي الإدارة بشكل عام وفي المراسلات والمعاملات التّجارية ، كما تنتشر اللّغات المازيغية على ألسنة ساكنة بعض الولايات بجميع تمثّلاتها:« القبائلية (منطقة

القبائل، والشّاوية (منطقة الأوراس)، والمزابية (منطقة مزاب)، والتّوارقية (التّوارق في الصحراء الجنوبية) والزّناتية في عدّة مناطق متفرّقة خاصّة في الواحات الجنوبية »[8]، بالنّظر إلى التّنوع الثّقافي في الجزائر إلاّ أنّه يندرج ضمن ما يعرف بالتّنوع الدّاخلي ؛لأنّ مجموعاته تنتمي إلى جنسيّة واحدة ووطن وتاريخ واحد.

لم تعرف المازيغية تعارضا ولا تنافرا مع العربيّة منذ الفتوحات الإسلاميّة وقد عمل الأمازيغ على نشرالعربيّة وحفظ قواعدها بدافع المحافظة على الوحدة بين المسلمين :« وبذا عاشت العربيّة بلهجاتها ، والأمازيغية بلهجاتها وتأدياتها جنبا إلى جنب طوال القرون الماضية، ولم يحصل بينهما أيّ صراع ، بقدر ما كان التّكامل والتّداخل تلاقحا وتبادلا في الأدوار والوظائف»[9]لقد وحّد الإسلام العرب والأمازيغ وجمع بينهم على هذه الأرض –الجزائر- فكان شعارهم :« الأمازيغية إرثنا والعربيّة غراء اجتماعي توحيدي فبالأمازيعية نبقى وبالعربية نرقى»[10]

يقول المفكّر المازيغي ناصر الدّين المشدالي أنّ اللّغة العربية في الجزائر:« يجب أن تحظى بعناية خاصّة ، فهي ليست مثل اللّغات الأخرى وواجبنا جميعا تعلّمها والعمل على نشرها»[11]. ومع تمكّن الاستعمار الفرنسيّ من الجزائر أقصى المازيغية والعربية من الاستعمال والتّوظيف بشكل نهائيّ، فبعد أن كانت مسألة الهويّة محسومة لدى الجزائريين الّذين باتوا يؤمنون بأنّ بعضهممازيغ عرّبهم الإسلام ، بالإضافة إلى العرب الأصليين منهم فقد عمد الاستدمار إلى إثارة قضية اللّغة لتفريق الشّعب الجزائري وضرب وحدته وطمس هويّته، وبعد استقلال الجزائر مباشرة ، وجدت واقعا لغويا :« ذابنيات إدارية وأنظمة تعليمية ومؤسّسات اقتصادية تسود فيها اللّغة الفرنسيّة سيادة مطلقة»[12]وفي العام 1968 صدر قانون الوظيفة العمومية بالعربيّة الّذي نصّ على ما يلي :« كلّ من ليس له مستوى في معرفتها وهو موجود بالجهاز الإداري لا يرقّى»[13]، لقد أجّج هذا القانون الصّراع بين التّيار العربي والتّيار الفرنسي وطفا إلى السّطح تيّار الصّراع الأمازيغي خاصّة وأنّ القانون السّابق (تعريب الوظيفة) كان قد صدر بعد سنة من تأسيس الأكاديمية البربرية بفرنسا العام 1967 والّتي لم تعمّر إلاّ سنة واحدة.

وظهور التّيار المازيغي إلى السّاحة اللّغوية ، ربّما كانت دوافعه من التّيار التّغريبيّ الفرنسيّ هذا من جهة، ومن جهة ثانية لابد من الإشارة إلى الخلفية التّاريخية للقضيّة فَمَكْمنُ الخلل في المواثيق الّتي لم تتحدّث عن اللّغة الوطنيّة:« وهذا بدءا من بيان أوّل نوفمبر 1954، وما جاء في مواثيق الحكومة المؤقّتة

، ودساتير 1963 و1989 و1996 إضافة إلى المواثيق الوطنيّة : 1964 و 1976 م »[14]فالحديث عن العربيّة الرّسمية في المواثيق والدّساتير السّابقة دون الإشارة إلى اللّغة الوطنيّة زاد في تأزّم الصّراع وخلق الهوّة بالمطالبة بتصحيح الوضع وإدراج اللّغة الوطنيّة في المواثيق الرّسمية وذلك يكون بمراعاة الانتماء الحضاري العربيّ والمقومات الكبرى للشّعب الجزائري ومنها البعد الأمازيغي، رغم ان ما أشرنا إليه من قبل من مواثيق لا ينفي وطنيّة المازيغية ولا يتعارض مع تأسيس المحافظة السّامية للمازيغية عام 1995 م ، إلاّ أنّ المسألة بين اللّغتين الوطنيتين (العربيّة / اللّغة الأم) والمازيغية قد أخذت بعدا آخر، نُظِرَ إليه من قبل البعض على أنّ العربيّة هي الّتي أخذت مواطنة المازيغية:« والحقيقة الّتي يراها اللّسانيون أنّ المازيغية أُخْتُ العربيّة ويبدؤون من معجم اللّغتين، خذ مثلا قاموس الأمازيغية سنجد فيه 60% من ألفاظها عربيّة وإذا أجرينا دراسات مقارنة نجد تشابها في البنية الصّرفية والدّلالية كما نجد قواسم مشتركة كثيرة في العدد والتّقديم والتّأخير والتّنكير والتّعريف والتّذكير والتّأنيث والفعل والفاعل ... ولذا لا يجب خلق الفروق الوهمية بين اللّغتين بقدر ما يجب البحث في العلاقات اللّغوية الكائنة بينهما»[15]فالأولى أنّ التّحامل الّذي وقع على اللّغة العربيّة في بعض الخطابات أن يكون على اللّغة الفرنسيّة الّتي شغلت محلّ اللّغتين الوطنيتين في مساحات واسعة، وهي الّتي أثارت نعرة الصّراع بينهما وفي حقيقة الأمر فإنّ العربيّة لم تشكّل أيّ خطرٍ على المازيغية : « لأنّالمازيغية كانت تكتب بالحرف العربيّ في القرن 18، ولأنّ العربيّة ليست لغة اقصائيّة على الاطلاق، ولو كانت كذلك لما بقي وجود للمازيغيات منذ دخول الهلاليين إلى أرض الجزائر في القرن العاشر، فالعربيّة بمبادئها الإسلامية حافظت على هويّة المازيغ أصحاب الأرض التّاريخيين»[16]

وبعد اعتماد اليونسكو مشروع حماية اللّغات المهدّدة بالاندثار عام 2001 م بغية تشجيع التّعدد اللّغوي، لأنّ أهميّة أيّ لغة في سياقها اللّساني الاجتماعي:«لا تنتج من قيمتها اللّغوية الدّاخلية، ومن صور كلماتها وبناها النّحوية، على الرّغم من أهميّة هذه القيمة، بقدر ما تُنْتَج ومن وظيفتها باعتبارها أداة للتّواصل في صدد الشّيء المهمّ مع الشّخص المهمّ، لدى مستعملي اللّغة تبعا للمجالات اللّغوية الحيويّة اليوميّة الّتي تعنيهم، مثل التّجارة والدّين والتّربيّة والثّقافة والرّياضة والتّرفيه والفرجة »[17]كانت الجزائر مسايرة لهذا المشروع ومع التّعديل الدّستوري بتاريخ 08 ماي 2002 جاء اعتماد اللّغة المازيغية لغة وطنيّة، وأخذت مساحتها في الاستعمال في مجالي التّعليم والإعلام ، وبقي النّضال

متواصلا لأجل تمكين وتوطين اللّغة المازيغية أكثر، انبلج الصّبح المنتظر مع دستور 2016 الّذي قطفت من خلاله اللّغة المازيغية ثمرة التّحصين والدّسترة : « والّذي يعني إنشاء المؤسّسات الّتي تعمل على ترقيتها (مثل الأكاديمية + مراكز البحث + مخابر اللّغات وتوسيع مهام اللّغة الوطنيّة المرتبطة بالمحافظة على التّراث الوطنيّ إلى التّعليم والتّمهين وإلى إنشاء مؤسّسات سياسية ومراكز بحثية في جامعات الدّولة الجزائرية»[18].

2-4-المازيغية لغة رسميّة ثانية في الجزائر:

ماذا بعد ذلك؟ انبلج صبح المازيغية لكنّ سماؤه لا تزال غائمة والعواصف هائجة (ثائرة) تعكّر هدوء الصّباح المشرق بطرح عديد الأسئلة –ما المازيغيّة الفصحى الّتي يمكن أن تجمع المازيغيات المتواجدة في الجزائر؟ لقد طُرِح هذا السّؤال في وقت سابق لترسيم المازيغية على الباحث صالح بلعيد كونه متخصّصا في اللّسانيات من جهة ومن جهة أخرى باعتبار ما تمثّله المازيغية بالنّسبة إليه كلغة أمّ، من قبل صحافي إمارتي، هذا نصّ السّؤال: « برايكم هل تستطيع هذه الأكاديمية خلق لغة أمازيغية فصحى تجمع اللّهجات الأمازيغية المتنافرة في الجزائر والمغرب العربي»[19]، فكان الجواب:« من الصّعوبات الّتي سوف تصادفها الأمازيغية الاتّفاق على لغة جامعة مانعة وهذا سيكون في البداية فقط»[20] والسّؤال نفسه أعيد طرحه بعد ترسيم المازيغية فما الجواب يا ترى؟ إنّ الجواب على هذا السّؤال قد يتطلّب دراسة وبحثا عميقين من قِبَلِ المختصّين في هذا المجال، كما تُطرح تسائيل أخرى لعلّ أوّلها، ما الحرف الأنسب لتجسيد اللّغة المازيغية؟فتتباين الآراء والتّوجهات بين منادٍ بحرف (التيفيناغ) وفئة تنادي بكتابتها بالحرف العربي، وأخرى تنادي بكتابتها بالحرف اللّاتيني فإذا كان حرف التّيفيناغ هو الرّسم الأصلي للمازيغية والحرف العربيّ هو الحرف الأصلي للعربية وكلاهما لغتان وطنيتان تجسّدان الهويّة والوحدة الوطنيّة، وباعتبار ما تمّثلانه لشخصيّة ومواطنة الفرد الجزائري فالسّؤال المطروح ها هنا ، ماذا يعني الحرف اللّاتيني بالنّسبة لِلْجهة الدّاعية إلى تجسيد كتابة اللّغة المازيغية كلغة وطنيّة بهذا الخطّ؟ ثمّ كذلك ما الحرف الذي يسهل به تعلّمها ونشرها عبر أرجاء الوطن ؟ أهو الحرف العربي أم حرف التيفيناغ؟ إنّ المطلب الهوياتي للّغة المازيغية لا يتّفق منطقيا مع الحرف اللّاتيني، إنّ هويّة الوطن الجزائري ذات البعد العربي المازيغي الإسلامي تستجيب لكتابة اللّغة المازيغية بالخطّ العربي من أجل إعطاء هذه اللّغة حظّا اوفر للقبول والانتشار داخل الوطن الجزائري والوطن العربي، كما سبقت

الإشارة إلى ذلك بأنّها كانت تكتب بالحرف العربي في القرن 18. وبهذا، نكون قد جسّدنا المقولة -لتحترق قريتي من أجل بلدي -وهو ما رآه صالح بلعيد:« المازيغية اللّغة الوطنية والرّسمية، خير ما يجسّدها صوتيا وعلميا وحضاريا –بعد حروفها – هو الحرف العربيّ والّذي يجعلها لغة كلّ الشّعب الجزائري ، ولكي لا تكون لغة جهة من الجهات»[21]

2-5-تعميم تعليم المازيغية:

إنّ هذا المشروع هو الآخر يطرح كثيرا من المشاكل على القضية اللّغويّة في كلّ أبعادها الاجتماعي والسّياسي والتّربوي التّعليمي، ذلك لأنّ الأمر يقتضي التّخطيط له وفق سياسة لغويّة شاملة تتعاون كلّ الجهات المعنية في إعدادها حكومة ونخبا فاعلة وجمعيات مدنية ومنظّمات وطنيّة ومجالس علميّة، تسهم كلّ جهة بدورها في تهيئة الموضوع (التّهيئة اللّغوية) ويكون القرار السّياسي هو فيصل القضية. للإجابة على كلّ ما يطرح من أسئلة حول موضوع تعميم اللّغة المازيغية في الجزائر، باعتبار ما يُحْتاج إليه من تهيئة ماديّة وبشريّة من جهة، ومن جهة أخرى ما يلزم من وقت لهذه التّهيئة، إضافة إلى ما يحدث من قبول او رفض للموضوع في حدّ ذاته على الصّعيد الاجتماعي، كلّ هذا يتوجّب النّظر إليه بوعي ثاقب يسهم في بناء التّناسق الجمعي، لا التنافر البيئي، حيث تكون العلاقة بين اللّغتين الوطنيتين العربية والمازيغية علامة تكامل لا تصادم.

2-6-واقع التّعليم في الجزائر واللّغة المازيغية:

يَعْرِف مستوى التّعليم في المدرسة الجزائرية عموما تدنّيا واضحا قبل تعميم اللّغة المازيغية فيها، فهل يمكن النّهوض بمستوى المدرسة الجزائرية وترقية التّحصيل العلميّ فيها بإضافة اللّغة المازيغية إلى مقررات التّعليم ، إذا كان البعض يرى التّخلف والانحطاط في العربيّة، وينشد التّقدّم والرّقي في اللّغات الأجنبية، فما حاجتنا إلى المازيغية باعتبارها أختا للعربيّة ؟وإذا اعتبرت المازيغية الّتي هي جزء من مكونات الهويّة الوطنيّة ، لغة العلم والحضارة وبها يحصل التّقدم والرّقي ، فكم يلزمنا من الوقت لتعليمها لأكبر فئة من الشّعب الجزائري لا تعرف عنها شيئا وعندئذ هل تنتظرنا عجلة الزّمن لركب قطار الحضارة ؟ الّذي ركبناه باللّغة العربية اللّغة الجامعة غداة الاستقلال، ولازلنا نراوح مكاننا إذْ لم نصل إلى هدفنا بعربة تتقدّم في التّرتيب العالمي على عربة اللّغة الفرنسية، فكيف نتقدّم بهذه الأخيرة أو بما يأتي بعدها؟ وهل يمكن أن نتقدّم بلغتين وطنيتين ولم يحصل لنا ذلك بلغة واحدة؟ إنّ

التّقدم نتيجة حتمية ومنطق مفروض، يتحقّق متى توفّرت الإرادة وخلصت النّية إلى ذلك، فعربيّة القرون الوسطى صنعت مجدا وبنت حضارة، وهي نفسها عربيّة القرن الواحد والعشرين وما بعده.

2-7-اللّغة العربية الفصحى واللّهجات:

إنّ من يبحث في الواقع اللّغوي في الجزائر يسمع الجزائريين يتواصلون بأربع لغات، وبدرجات متفاوتة لكلّ واحدة، تتميّز كلّ منها ببنيات صوتية وصرفية وتركيبيّة ومعجمية، تجعلها نظاما تواصليا متفرّدًا، العاميّة العربيّة وهي عاميات مختلفة باختلاف المناطق المتواجدة فيها وهي لغات أمّ تسود في البيت والشّارع والمحيط الأوّل بشكل عام، واللّغة المازيغية بلهجاتها المنتشرة في عديد مناطق الوطن، شمالا وجنوبا شرقا وغربا، هذه اللّغات هي لغات التّواصل اليومي (الشّفهي لا تستخدم فيها الكتابة). أمّا الفرنسيّة فهي إرث استعماري مرتبط بالفترة الاستعمارية الّتي عاشتها الجزائر وهي لغة ساكنة المدن الكبرى، والنّخبة المشبّعة بالثّقافة الفرنسيّة والإدارة وكثير من مؤسّسات الدّولة، بل كادت أن تكون لغة رسميّة في الجزائر بحكم أنّها لغة الطّبقة الفاعلة في السّلطة وتسييردواليب الدّولة.تأتي بعد ذلك اللّغة العربيّة الفصحى الّتي تشكو الغربة في وطنها، ومن أهلها بسبب الاستعمال المحدود في قطاع التّعليم والإدارة والإعلام إلى جانب اللّغة الأجنبية، هذا من جهة ومن جهة ثانية:«لا تزال الفرنسيّة تقترن من جهة في كلّ من تونس والمغرب والجزائر في أذهان النّاس، بالتّقدم الاجتماعي والاقتصادي والثّقافي والعلمي وبالشّعورالنّفسي بالحداثة»[22]

يضاف إلى ذلك نسبة الأميّة، واستعمال العامية في الحياة الاجتماعية كلسان تخاطب جماعي من جهة، والجهل الشّائع بأسس اللّسان العربي الفصيح حتّى بين نخبة المثقّفين من أساتذة وطلاب جامعات من جهة أخرى.

لا شكّأنّ هذا التّعدد اللّغوي في الجزائر بالرّغم من واقعيته وضرورته الاجتماعية الملحّة، إلاّ أنّه سيترك أثرا بالغا على الحياة بمختلف مجالاتها العلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة في ظلّ غياب عملة لغوية فصيحة موحّدة لدى أبناء الوطن.

فأصبحت العربيّة الفصيحة غريبة في موطنها ومن تكلّم بكلمة أو عبارة فصيحة صحيحة في التّسوق مثلا: نسب إلى العصر الجاهلي؛لغربة لغته الّتي يستعملها وانطبق عليه قولي هذا: إذا تكلّمت عن المعاجم صرت من الأعاجم.

إنّ استخدام العاميّة في المحادثة اليوميّة أمر واقع وجزء من عملية الاتّصال بَيْدَ أنّ امتداد اللّهجات العاميّة إلى مختلف مجالات الحركة الاجتماعية من دون مرجعيّة لغويّة وقيمية يجعل هذه اللّهجات تؤثّر سلبا في اللّغة وبنياتها. خاصّة وأنّ اللّهجة العربيّة الجزائرية تعتمد على الاستعارة اللّغوية من لغات عدّة كالمازيغية والتّركية والاسبانية ...ومع هذا تبقى اللّغة العربيّة الفصحى: «تمثّل مرجعية لغوية وقيمية متى ظلّت وثيقة الصّلة بالنّص القرآني، والسّنة النبوية، ومجمل التّراث»[23].

3-الظّواهر اللّسانية النّاتجة عن ممارسة اللّغات فيالجزائر:

تتميّز البيئة اللّغوية في الجزائر بثراء وتنوع كبيرين في الاستعمال ، يظهر ذلك من خلال اللّغة الفصحى والعامّيات والمازيغية ولهجاتها، وكذلك اللّغة الأجنبية في إطار ما يعرف بالتّعدد اللّغوي الّذي يقوم على تبادل الوظائف والأدوار في مجالات الحياة المختلفة، وقد أدّى هذا التّبادل في الأدوار بين الفصحى والعاميّة إلى خلق هوّة شاسعة بين المستويين اللّغويين اللّذين هما من أصل واحد، يظهر في عدم تمكّن أيّ شخص من الحديث بالفصحى بشكل عادٍ ودون أخطاء ، كما لا يمكنه التّعبير عن القضايا العلمية والفكرية بالعاميّة كما قال العقاد: « إنّ في كلّ أمّة لغة كتابة ولغة حديث »[24] ، ونتيجة التّفاعل بين هذين المستويين الفصيح والعامّي:«ظهر مستوى ثالث مزيج بين الفصحى والعاميّة »[25]، لكن ينحصر عند فئة محدودة قادرة على التّكيف مع المواقف التّواصلية باللّجوء إلى شكل من أشكال المزج اللّغوي بين نظامين لغويين استجابة للحاجة التّواصلية قد يكون هذا المزج على مستوى المفردات أو على مستوى التّراكيب ، ذلك لأنّ الممارسة اللّغوية سلوكا اجتماعيا ، فالمتكلّم أحيانا يفكر بلغة ويتحدّث بلغة أخرى.

إنّ الثّنائية اللّغوية (العاميّة والفصحى) قد تكون عاملاً مهمّا يُؤْخَذُبه في تفسير ندرة استعمال الفصحى، حتّى من طرف الّذين يتقنون الحديث بها في الاحتكاكات الاجتماعية اليوميّة، إذْ أنّ اللّجوء إلى استعمالها يُعدُّ خرقا للمعايير الاجتماعية اللّغوية، ومن يَعْمَدُ إلى استعمال الفصحى في الظّروف والأماكن العامّة ينظر إليه اجتماعيا كمنحرف لغويّ.

لقد نزعت العامّيات للعربيّة الفصحى دورها في نبض الحياة اليومي استعمالا؛ ما جعلها تنحصر في الكتابة والقراءة، فهي بذلك أصبحت لغة صامتة أكثر منها ناطقة، وهذا ما يجعلها في وضع

التّردي بضعف مستوى استعمالهافيتسرّب لها الدّخيل وتطغي عليها الأخطاء في كلّ المستويات، ويخْتِرقُ سِجِلّها الدّخيل والهجين.

3-1-التّعاقباللّغوي:

يشكّل التّعاقب اللّغوي إشكالية في كلّ مجتمعات العالم، لقد ظهر نتيجة احتكاك المجتمعات البشريةبعوالم عديدة، تجاريّة، دينيّة، سياسيّة، عسكرية ... ويكون داخل الجملة الواحدة، كما يكون بين الجملة والجملة، فهو بذلك يعتبر نوعا من الممارسة اللّغوية، أو استراتيجية خطابية تداولية يتعاقب فيها نظامان لغويان في خطاب معين، فالتّعاقب اللّغوي الاسترسالي هو: «تلك الاستراتيجية التّداولية التّبليغيّة الّتي يستعين بموجبها المتكّلم بتنوعين لغويين أو أكثر من سجلّه اللّغوي لإيصال ما طاب له من معلوما»[26]. تَرِدُ هذه الظّاهرة اللّسانية في الممارسة اللّغوية في المجتمع الجزائري على مختلف مستوياته، وبأنماط متباينة فهناك تعاقب شديد بين العربيّة الفصحى والعاميّة كنمط أوّل، وبين العاميّة والفرنسيّة في نمط ثان، وبين العربية الفصحى والفرنسيّة كنمط ثالث، إنّ تنوع التّعاقبات اللّغوية يفسّر تعدّد أسبابه،فهناك أسباب اجتماعية بيئية تحتّم على المتكّلم اللّجوء إليها كما أنّ هناك أسباب ثقافية وأخرى نفسية ... تجعل المتكّلم يلجأ إلى هذه الاستراتيجية التّداولية في سياقها الخاصّ لبلوغ هدفه الخطابي، قد تكون هذه التّعاقبات ضرورة اجتماعية لتلبية الحاجات وتحقيق مقاصد المتكّلم، لا سيّما إذا تعلّق الأمر باللّغة الأمّ ولغة الأمّ، كما يمكن أن يكون التّعاقب آلية لتعلّم اللّغات الأجنبيّة إلى حدّ ما، لكن قد يحمل معنى التّعالي أحيانا وإظهار المقدرة على التّحكم في اللّغات الأجنبيّة خاصّة، هذا من جهةومن جهة أخرى قد يبيّن عدم تحكّم المتكّلم في اللّغة الأمّ.وفي كلّ الحالات فإنّ تأثير هذه التّعاقبات بأنواعها يكون سلبيّا بالنّسبة للّغة الأمّ وحتّى اللّهجات، بما ينطبع عليها من الهجين اللّغوي، وحدوث الأخطاء اللّغوية في كلّ المستويات، ومن ثمّة تنتقل على ألسنة الفئة ما قبل سنّالتّمدرسفتكتسب هذه الممارسات على أنّها لغة أمّ.

4-الخاتمة:

إنّ الواقع اللّساني الجزائري بات أمر يستدعي الرّعاية والاهتمام من قبل كلّ الجهات الفاعلة في هذا المجال، نظرا لما يطرحه من إشكالات وظواهر لغوية تحتاج إلى دراسة وتمحيص وفق سياسة لغوية شاملة تكون على مستوى مؤسسات الدّولة، وتأخذ كل الأبعاد الوطنية والقومية بعين الاعتبار،

لتخطي العقبات الرّاهنة الّتي أفرزها التّعدد اللّغوي للوصول إلى بناء مجتمع متجانس ومتكامل معتزّ بلغته ووطنيّته متمثّلا لهويّته.

-التّوصيات والاقتراحات:

*تعميم استخدام اللّغة العربيّة في كلّ مؤسّسات الدّولة: - الإدارة – الإعلام -المؤسّسات التّعليمية في مختلف الأطوار.

*إيلاء الاهتمام لتفعيل اللّغة العربية في مجالات الحياة اليومية.

*احترام التّراتبية اللّغوية في الخطابات الرّسمية الوطنية وفي المحافل الدّولية.

* وضع مخطّط لاستخدام اللّغة العربية في واجهات المؤسّسات العمومية والخاصّة والمحلاّت التّجارية، ولافتات الطّرقات، وذلك بالتنّسيق مع المجلس الأعلى للّغة العربية، والجمعيات الثّقافية وكلّ الجهات ذات الصّلة بالموضوع.

5. الهوامش

1- مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، مؤسسة الرسالة دار النفائس بيروتلبنان،1973 ، ص 25.

2- سلمان بونعمان:النهضة اللغوية وخطاب التلهيج الفرانكفوني : في نقد الاستعمار اللغوي الجديد حالة المغرب، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان، ط1، 2014 ص 46.

3- مازن المبارك، المرجع السابق، ص 11.

4-أحمد مطلوب: دور اللغة في الإشعاع الحضاري، نصوص ندوة حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية(6-8نوفمبر) منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001 ص 59

5- صالح بلعيد: الاهتمام بلغة الأمة (العبرة من الفرنسيين)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ،2016، ص 17.

6- صالح بلعيد، المرجع نفسه، ص 26.

7-علي ناصر كنانة: اللغة وعلاقاتها، منشورات الجمل، بيروت، لبنان،2009، ص 33

8- نقلا: مجلة الممارسات اللغوية، ع 2016/38، مجلة سين للدراسات الفكرية والثقافية في اللغة والتاريخ والهوية محمد الكوفي، الأمازيغية المعيارية بين اختلاف لغة جديدة وصناعة الوهم الإيديولوجي عدد 7، قطر 2014 ص 32.

9- صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر2008، ص 51.

10- صالح بلعيد، المرجع نفسه، ص 51.

11- صالح بلعيد:المازيغيات، منشورات مخبرالممارسات اللغوية فيالجزائر2012ص 167

12-جلبير غرانغيوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي تر: محمد أسليم، دار إفريقيا الشرق المغرب . ط1 ، 2011 ص 12.

13- نقلا عن مجلة الممارسات اللغوية: أعثمان ملاوي (دينامية اللغات مقاربة لوضع اللغة العربية في الجزائر) مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر، ع 38 ديسمبر،2016، ص 167.

14- صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، مرجع سابق، ص 61-62.

15- صالح بلعيد: في النهوض باللغة العربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2008 ص 82.

16-عثمان ملاوي (دينامية اللغات مقاربة لوضع اللغة العربية في الجزائر)، مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر، المرجع السابق، ص 168.

17- مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر ط1، 2013، ص 32.

18- صالح بلعيد:هل تشتعل حرب الحروف، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2016 ص 15.

19-صالح بلعيد: في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى، مرجع سابق، ص 172.

20- صالح بلعيد: المرجع نفسه، ص 172.

21- صالح بلعيد: هل تشتعل حرب الحروف، مرجع سابق، ص 114.

22- حافظ إسماعيل علوي وآخرون: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز الدراسات الوحدة العربية ط1، بيروت، لبنان،2007، ص 52.

23- عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1984 م 26، ص 164.

24- أحمد محمد المعتوق: نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط1،2005 ، ص 09.

25- حافظ إسماعيل علوي وآخرون: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مرجع سابق ، ص 34.

26-بلولي فرحات: استراتيجيات الخطاب في لغة الصحافة الرياضية، جريدة "الشباك" أنموذجا، مجلة الممارسات اللغوية، ع 0 (تجريبي)، 2010، ص 237.